متفرقات

obeikan.com

obeikan.com

متفرقات

قال أبو الحسن علي بن محمد الصغاني في كتاب " الفرائد والقلائد " في الاستعانة على حسن السياسة: آفة الملوك سوء السيرة. وآفة الوزراء خبث السريرة. وآفة الجند مخالفة القادة. وآفة الرعية مخالفة الطاعة. وآفة الزعماء ضعف السياسة. وآفة العلماء حب الرياسة. وآفة القضاة شدة الطمع. وآفة العدول قلة الورع. وآفة العدل ميل الولاة. وآفة الملك تضادد الحماة. وآفة الحرب إضاعة الحزم. وآفة القوي استضعاف الخصم.

وقال: الحزم أسد الآراء، والغفلة أضر الأعداء. ومن قعد عن حيلته أقامته الشدائد، ومن نام عن عدوه أنبهته المكائد. ومن سالم الناس سلم، ومن قدّم الحزم غنم. ومن لزم الحلم لم يعدم السلم. ومن ضعف رأيه قوي ضده، ومن ساء تدبيره أهلكه جده. والغرة ثمرة الجهل، والتجربة مرآة العقل. والصبر على الغُصَّة، يؤدي إلى الفرصة. ومن استرشد غويًا ضل، ومن استنجد ضعيفًا ذل. ومن ضل مشيره قلَّ نصيره. والأناة حسنٌ، والتودد يمن.

من نام عن نصرة وليه، انتبه بوطأة عدوه. ومن دام كسله، خاب أمله. والعجول مخطئ وإن ملك، والمتئد مصيب وإن هلك. ومن بان عجزه، زال عزه. ومن استبد برأيه، خفّت وطأته على أعدائه. وعلّة الأمن، سوء الظن.

ومن أمارة الخذلان، معاداة الإخوان. ومن علامات الإقبال، اصطناع الرجال. ومن كثرت مخافته، قلّت آفته. ومن طلب الرياسة، أحسن السياسة. واستفساد الصديق، من عدم التوفيق. والرفق مفتاح الرزق. ومن نظر في العواقب، سلم من النوائب. وفضيلة السلطان، عمارة البلدان .

من استحلى معاداة الرجال، استمر ملاقاة القتال. ومن فعل ما شاء، لقي ما ساء. من خانه الوزير، فاته التدبير. من كتم سره، أحكم أمره. ومن كثر اعتباره، قلَّ عثاره، ومن عمل بالرأي اعتلى مناره. ومن أحكم التجارب، أحمد العواقب. ومن أمارات الجد حسن الجِدّ. وزوال الدول، باصطناع السُّفَّل. القليل مع التدبير، أبقى من الكثير مع التبذير. عزيمة الصبر، تطفئ نار الشر، فإن الصبر على ما تكرهه وتجتويه، يؤديك إلى ما تحبه وتشتهيه. من وثق بإحسانك، أشفق على سلطانك .

إذا استشرت الجاهل، اختارَ لك الباطل. ومن اغتر بحاله، قصَّر في احتياله. ومن اغتر بمسالمة الزمن، عثر بمصادمة المحن. ومن اقتحم الأمور، لقي المحذور. ومن ترك ما يعنيه، امتُحِن بما لا يعنيه. ومن استعان بذوي العقول، فاز بدرك المأمول. ومن استشار ذوي الألباب، سلك سبيل الصواب. ومن ضيَّع أمره ضيَّع كل أمر، ومن جهل قدره جهل كل قدر.

والحازم من حفظ ما في يده، ولم يؤخر شغل يومه إلى غده. ومن طلب مالا يكون طال به تعبه، ومن فعل مالا يجوز كان فيه عطبه. لا تثق بالصديق قبل الخبرة، ولا توقع بالعدو قبل القدرة. وإذا أشكلت عليك الأمور، وتغير عليك الجمهور - : فارجع إلى رأي العقلاء، وافزع إلى استشارة النصحاء، ولا تأنف من الاسترشاد، ولا تستنكف من الاستمداد، فلأن تسأل وتسلم، خيرٌ من أن تستبد وتندم. ومن نصحك فلا تستبدل به، ومن وعظك فلا تستوحش منه، فمن نصحك أحسن إليك، ومن وعظك أشفق عليك.

واعلم أن الأيدي بأصابعها، والملوك بصنائعها، فلا يغرنك كبر الجسم، ممن صغر في المعرفة والعلم، ولا طول القامة، ممن قصَّر في الكفاية والاستقامة، فأن الدرة على صغرها - : أعود من الصخرة على كبرها.

واعلم أن سبب هلاك الملوك والممالك اطراح ذوي الفضائل، واصطناع ذوي الوسائل، والاستخفاف بعظة الناصح، والاغترار بتزكية المادح.

واعلم أن عمال الولاة بمنزلة سلاحهم في القتال، وسهامهم في النضال. ومن ولي الملك بلا كفاة، كمن لقي الحرب بلا حماة. ومما يديم لك نصحهم ووفاءهم، ويحفظ عليك ودهم وولاءهم - : قلة الطمع فيهم، وحسن المقابلة لمساعيهم.

واعلم أنك إن طمعت منهم في ذرة، طمعوا منك في بُدْرة، وإن ارتجعت من رفقهم دينارًا، اقتطعوا من ملكك قنطارًا، ثم أساءوا القول فيك، وأنكروا بيض صنائعك وأياديك. وإذا اصطنعت فاصطنع من ينزع إلى أصل وأبوة. ويرجع إلى عقل ومروءة، فإن الأصل والأبوَّة تمنعانه من الغدر والخيانة، والعقل والمروءة يبعثانه على الوفاء والأمانة، فإن كل فرع يرجع إلى أصله، وكل شيء يعود إلى طبعه.

وقال بعض العلماء: صُنْ عفتك بالحلم، ومروءتك بالعفاف، ونجدتك بمجانبة الخيلاء، وجهدك بالإجمال في الطلب .

كتب حكيم إلى حكيم: من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن لم يحلم ندم، ومن صبر غنِم، ومن خاف رحِم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهِم، ومن فهم علِم .

قال أنوشروان لابنه: يا بني، إن من أخلاق الملوك العز والأنفة. وإنك ستُبلى بمداراة أقوام، وإن سَفَهَ السفيه ربما تُطلَعُ منه فإن كافأته بالسفه فكأنك رضيت بما أتى. فاجتنب أن تحتذي على مثاله، فإن كان سفهه عندك مذمومًا فحقِّق ذمَّك إياه بترك معارضته بمثله .

وقال بعض العلماء: صُنْ عفتك بالحلم، ومروءتك بالعفاف، ونجدتك بمجانبة الخيلاء، وجهدك بالإجمال في الطلب .

كتب حكيم إلى حكيم: من حاسب نفسه ربح، ومن غفل عنها خسر، ومن نظر في العواقب نجا، ومن أطاع هواه ضل، ومن لم يحلم ندم، ومن صبر غنِم، ومن خاف رحِم، ومن اعتبر أبصر، ومن أبصر فهِم، ومن فهم علِم .

كتب بعض الحكماء إلى أخ له: أما بعد، فاجعل القنوع ذخرًا تبلغ به إلى أن يفتح باب يحسن بك الدخول فيه؛ فإن الثقة من القانع لن تخذل، وعون الله سبحانه مع ذي الأناة. وما أقرب الصنع من الملهوف ! وربما كان الفقر نوعًا من آداب الله عز وجل، وخيرةً في العواقب. والحظوظ مراتب. فلا تعجل على ثمرة لم تُدرك، فإنك تدركها في أوانها عذبة. والمدبر لك أعلم بالوقت الذي تصلح فيه لما توصل به؛ فثق بخيرته لك في الأمور كلها .

قال أبو حازم رحمه الله: رأيت الدنيا شيئين: لي ولغيري: فما كان لغيري فلا سبيل إليه، وما كان لي فلو جهدت لم أقدر عليه قبل وقته. ففيم أتعب نفسي ؟

قال المدائني: لقي رجل راهبًا فقال له: يا راهب، كيف ترى الدهر ؟ قال: يُخلِق الأبدان، ويُجدِّد الآمال، ويُقرِّب المَنيّة. قال: فما حال أهله ؟ قال: من ظفر به تعب، ومن فاته نصب. قال: فما المغني ؟ قال: قطع الرجاء. قال: فأي الأصحاب آثر وأوفى ؟ قال: العمل الصالح والتقوى. قال: فأيهم أضرَّ وأردى ؟ قال: النفس والهوى. قال: فأين المخرج ؟ قال: سلوك المنهج. قال: وما هو ؟ قال: ترك الراحة

وبذل المجهود. قال: أوصني، قال: قد فعلت عن الشعبي قال: قلت لابن هبيرة: عليك بالتُؤَدة فإنك على رد ما لم تفعل أقدر منك على رد ما فعلتَ .

قال عمر بن الخطاب رضوان الله عليه: " من عرّض نفسه للتهمة فلا يلومن من أساء به الظن؛ ومن كتم سره كانت الخيرة بيده. وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يغلبك عليه. ولا تظنَّنَّ بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًا وأنت تجد لها في الخير مخرجًا؛ وعليك بإخوان الصدق فَكِسْ في اكتسابهم، فإنهم زينة في الرخاء، عدة في البلاء. ولا تهاون في الحلف بالله فيهينك. وعليك بالصدق ولو قتلك، ولا تعتز إلى من لا يغنيك؛ واعتزل عدوك؛ واحذر صديقك إلا الأمين: والأمين من خشي الله تعالى. ولا تصحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك فيفضحك. وتخشَّع عند القبور؛ وآخ الإخوان على قدر التقوى؛ ولا تستعن على حاجتك من لا يحب نجاحها لك؛ وشاور في أمرك الذين يخافون الله ﷻ.

وقال بعض الحكماء: يجب على السلطان أن يلتزم العدل في ظاهر أفعاله لإقامة أمر سلطانه، وفي باطن ضميره لإقامة أمر دينه، فإذا فسدت السياسة ذهب السلطان؛ ومدار السياسة كلها على العدل والإنصاف، فلا يقوم السلطان لأهل الكفر والإيمان إلا بهما، ولا يدور إلا عليهما.

وقال عبد الملك بن مروان لبنيه: كلكم يترشح لهذا الأمر، ولا يصلح له منكم إلا من له سيفٌ مسلول، ومالٌ مبذول؛ وعدلٌ تطمئن إليه القلوب.

وخطب سعيد بن سويد بحمص، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيها الناس، إن للإسلام حائطًا منيعًا وبابًا وثيقًا؛ فحائط الإسلام الحق وبابه العدل؛ ولا يزال الإسلام منيعًا ما اشتد السلطان؛ وليس شدة السلطان قتلاً بالسيف ولا ضربًا بالسوط، ولكن قضاءٌ بالحق وأخذٌ بالعدل.

وكتب إلى عمر بن عبد العزيز بعض عماله يستأذنه في تحصين مدينة، فكتب إليه: حصّنها بالعدل ونقّ طريقها من الظلم.

وقال معاوية: إني لأستحي أن أظلم من لا يجد علي ناصرًا إلا الله.

وقال المهدي للربيع بن جهم وهو والٍ على أرض فارس: يا ربيع، انشر الحق والزم القصد وابسط العدل وارفق بالرعية، واعلم أن أعدل الناس من أنصف من نفسه، وأجورهم من ظلم الناس لغيره.

وقال جعفر بن يحيى: الخراج عمود الملك، وما استغزر بمثل العدل، ولا استنزر بمثل الظلم.

وقال عمرو بن العاص: لا سلطان إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

وقيل: سأل الإسكندر حكماء بابل، فقال: أيما أبلغ عندكم، الشجاعة أم العدل؟ فقالوا إذا استعملنا العدل استغنينا عن الشجاعة.

ولما جيء بالهرمزان ملك خوزستان أسيرًا إلى عمر بن الخطاب ﷺ، لم يزل الموكّل به يقتفي أثر عمر بن الخطاب ﷺ حتى وجده بالمسجد نائمًا متوسدًا درته، فلما رآه الهرمزان قال: هذا هو الملك؟ قيل نعم، فقال له: عدلت فأمنت فنمت، والله إني قد خدمت أربعة من ملوك الأكاسرة أصحاب التيجان فما هبت أحدًا منهم هيبتي لصاحب هذه الدرة.

وقالوا: إذا عدل الإمام خصب الزمان.

وقال ابن عباس ﷺ: إن الأرض لتزين في أعين الناس إذا كان عليها إمامٌ عادل، وتقبح إذا كان عليها إمام جائر.

وحكي أن كسرى أبرويز نزل متنكرًا بامرأة، فحلبت له بقرة فرآها حلبت لبنًا كثيرًا، فقال لها: كم يلزمك في السنة على هذه البقرة للسلطان؟ فقالت: درهم واحد؛ فقال: أين ترتع ويكم منها ينتفع؟ فقالت: ترتع في أراضي السلطان، ولي منها قوتي وقوت عيالي؛ فقال في نفسه: إن الواجب أن أجعل إتاوة على البقور فلأصحابها نفعٌ عظيم؛ فما لبث أن قالت المرأة: أوّه، إن سلطاننا همّ يجور، فقال أبرويز: لمه؟ فقالت: لأن درّ البقرة انقطع، وإن جور السلطان مقتضٍ لجدب الزمان؛ فأقلع عما كان همّ به. وكان يقول بعد ذلك: إذا همّ الإمام بجورٍ ارتفعت البركة.

وقال سقراط: ينبوع فرح العالم الملك العادل، وينبوع حزنهم الملك الجائر.

وقال الفضل: لو كان عندي دعوةٌ مستجابة لم أجعلها إلا في الإمام. فإنه إذا صلح أخصبت البلاد وأمنت العباد؛ فقبّل ابن المبارك رأسه وقال: لا يحسبنّ هذا غيرك.

وقال قدامة: حسبكم دلالةً على فضيلة العدل أن الجور الذي هو ضدّه لا يقوم إلا به؛ وذلك أن اللصوص إذا أخذوا الأموال واقتسموها بينهم احتاجوا إلى استعمال العدل في اقتسامهم وإلا أضر ذلك بهم.

قالت الحكماء: إذا نزلت من الملك بمنزلة الثقة فاعزل عنه كلام الملق، ولا تكثر من الدعاء له في كل كلمة، فإن ذلك يشبه حال الوحشة والغربة، إلا أن تكلمه على رؤوس الناس فلا تأل عما وقره وعظمه.

وإذا أردت أن يقبل قولك فصحح رأيك ولا تشوبنه بشيء من الهوى، فإن الرأي يقبله منك العدو، والهوى يرده عليك الصديق.

وتبصر ما في الملك من الأخلاق التي يحب ويكره، ثم لا تكابره بالتحويل له عما يحب ويكره إلى ما تحب وتكره، فإنها رياضة صعبةٌ قد تحمل على التتائي والقلى.

فقلما تقدر على رد رجلٍ عن المكابرة والمناقضة وإن لم يكن جمح به عز السلطان، فكيف إذا جمح به! ولكن تعينه على أحسن رأيه وتزينه له وتقويه عليه؛ فإذا قويت المحاسن كانت هي التي تكفيك المساوي.

وإذا استحكمت منه ناحية من الصواب كان ذلك الصواب هو الذي يبصره مواقع الخطأ بألطف من تبصيرك وأعدل من حكمك في نفسه؛ فإن الصواب يؤيد بعضه بعضًا ويدعو بعضه إلى بعض.

وإذا كنت له مكابرًا لحقك الخطر ولم تبلغ ما تريد.

ولا يكوننّ طلبك ما عند السلطان بالمسألة! ولا تستبطئه وإن أبطأ، ولكن اطلب ما عنده بالاستحقاق له والاستيناء به وإن طالت الأناة، فإنك إذا استحققته أتاك من غير طلب، وإذا لم تستبطئه كان أعجل له.

ولا تخبرنّ الملك أن لك عليه حقًا، وأنك تعتد عليه بلاء.

وإن استطعت ألا ينسى حقك وبلاءك فافعل.

وليكن ما تذكره به تجديدك له النصيحة والاجتهاد، وألا يزال ينظر منك إلى آخر يذكره الأول؛ فإن السلطان إذا انقطع عنه الآخر نسي الأول؛ فإن أرحامهم منقطعة وحبالهم منصرمة إلا عمن رضوا عنه في يومهم وساعتهم.

واعلم أن أكثر الناس عدو لصاحب السلطان ووزيره وذوي المكانة عنده، لأنه منفوس عليه مكانه كما ينفس على الملك ملكه، وحسود كما يحسد عليه؛ غير أنه يجترأ عليه ولا يجترأ على الملك، لأن حساده أحباء الملك الذين يشاركونه في المنزلة والدخول، وهم حضور، وليسوا كعدو الملك النائي عنه الكاتم لعداوته؛ فهم لا يغفلون عن نصب الحبائل له.

فالبس لهؤلاء الأعداء كلهم سلاح الصحة والاستقامة ولزوم المحجة فيما تسر وتعلن.

ثم روح عن قلبك حتى كأنك لا عدو لك ولا حاسد.

جانب المسخوط عليه والمظنون به عند السلطان ولا يجمعنك وإياه مجلس ولا منزل، ولا تظهرن له عذرًا ولا تثنين عليه خيرًا. فإذا رأيته قد بلغ في الإعتاب مما سخط عليه فيه ما ترجو أن يلين له الملك، واستيقنت أن الملك قد تحقق مباعدتك إياه وشدتك عليه، فضع عند ذلك عذره عند الملك، واعمل في إرضائه بالرفق واللطف.

وإذا أصبت الجاه عند الملك وكانت لك خاصة منزلةٍ، فلا يحدثن لك ذلك تغيرًا على أهله وأعوانه واستغناءً عنهم، فإنك لا تدري متى ترى أدنى جفوةٍ فتذل لهم.

وإن استطعت أن يعرف صاحبك أنك تنحله صواب رأيك فضلاً عن صوابه فتسند ذلك إليه وتزينه به، فإن الذي أنت بذلك آخذٌ أفضل من الذي أنت به معطٍ.

واعلم أن السلطان يقبل من الوزراء التبخيل ويعده منهم شفقة ونظرًا ويحمدهم عليه وإن كان جوادًا.

فإن كنت مبخلاً فقد غششت صاحبك بفساد مروءته، وإن كنت مسخيًا لم تأمن إضرار ذلك بمنزلتك.

أوصى هشام بن عبد الملك سليمان الكلبي لما اتخذه مؤدبًا: إن ابني هذا هو جلدة ما بين عيني وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله وأداء الأمانة فيه بخلال: أوّلها أنك مؤتمن عليه، والثانية أنا إمام ترجوني وتخافني، والثالثة كلما ارتقى الغلام في الأمور درجة ارتقيت معه، وفي هذه الخلال ما يرغبك في ما أوصيك به، أن أول ما آمرك به أن تأخذه بكتاب الله وتقرئه في كل يوم عشرًا يحفظه حفظ رجل يريد التكسب به، ثم روّه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في إحياء العرب فخذ من صالح شعرهم هجاءً ومديحًا، وبصره طرفًا من الحلال والحرام والخطب والمغازي، ثم أجلسه كل يوم للناس ليتذكر.

وقال عتبة بن أبي سفيان لمؤدب ولده: ليكن أول إصلاحك لولدي إصلاح نفسك فإن عيونهم معقودة بعينك، فالحسن عندهم ما استحسنته، والقبيح ما استقبحته. علمهم كتاب الله، وروهم من الحديث أشرفه ومن الشعر أعفه، ولا تكرههم على علم فيملوه ولا تدعهم فيهجروه، ولا تخرجهم من علم إلى علم حتى يحكموه، فازدحام العلم في السمع مضلة للفهم. وعلمهم سير الحكماء وهددهم وأدبهم دوني، ولا تتكل على كفاية منك واستزدني بتأثيرك أزدك إنشاء الله تعالى. وضرب أبو مريم مؤدب الأمين والمأمون الأمين بعود فخدش ذراعه. فدعاه الرشيد إلى الطعام فتعمد أن حسر عن ذراعه، فرآه الرشيد، فسأله فقال: ضربني أبو مريم، فبعث إليه ودعاه قال فخفت، فلما حضرت قال: يا غلام وضئه. فسكنت وجلست آكل فقال: ما بال محمد يشكوك؟ فقلت: قد غلبني خبثًا وعرامة! قال: أقتله فلأن يموت خير من أن يموق.

قال ابن المقفع: عوّد نفسك الصبر على من خالفك من ذوي النصيحة، والتجرع لمرارة قولهم وعذلهم، ولا تسهلنّ سبيل ذلك إلا لأهل الفضل والعقل والسن والمروءة في ستر، لئلا ينتشر من ذلك ما يجترىء به سفيه أو يستخف به شانئ. واعلم أن رأيك لا يتسع لكل شيء ففرغه لمهم ما يعنيك، وأن مالك لا يتسع للناس فاخصص به أهل الحق، وأن كرامتك لا تطيق العامة فتوخّ بها أهل الفضل، وأن ليلك ونهارك لا يستوعبان حاجاتك وإن دأبت فيهما، فأحسن قسمتهما بين عملك ودعتك. واعلم أن ما شغلت من رأيك بغير المهم أزرى بك، وما صرفت من مالك في الباطل فقدته حين تريده للحق، وما عدلت به من كرامتك إلى أهل النقص أضرّ بك في العجز عن أهل الفضل.

وكتب عبد الله بن عباس إلى الحسن بن عليّ لما ولاّه الناس أمرهم بعد عليّ ﷺ: أن شمّر للحرب، وجاهد عدوّك، واشتر من الضنين دينه بما لا يثلم دينك، ووال أهل البيوتات تستصلح به عشائرهم.

وقال عليّ بن أبي طالب ﷺ: يجب على الوالي أن يتعهد أموره ويتفقد أعوانه حتى لا يخفى عليه إحسان محسن ولا إساءة مسيء، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء، فإنه إذا ترك ذلك تهاون المحسن واجترأ المسيء، وفسد الأمر وضاع العمل.

وقال بعض الحكماء: الملك المنعم إذا أفاض المكارم واغتفر الجرائم ارتبط بذلك خلوص نية من قرب منه وهم الأقل، وانفساح الأمل ممن بعد عنه وهم الأكثر، فيستخلص حينئذ ضمائر الكل من حيث لم يصل معروفه إلا إلى البعض.

وصية عالم لابنه:

أوصى بعض العلماء ابنه فقال أوصيك بتقوى الله وليسعك بيتك واملك عليك لسانك وابك على خطيئتك

وصية يزيد بن هاشم:

عن علي بن محمد، عن جده الدعبل بن علي، أن ذا الكلاع واسمه يزيد بن هاشم أقبل على بني عمه وإخوته وولده فقال لهم: معشر الجماعة من ولدي وإخوتي وبني عمي، لو كان الملك يدوم لأحد لدام لأسلافكم الذين ملكوا البلاد، فأحسنوا السيرة في أهلها وأخذوا للضعيف من القوي وأمنوا السبل وأذلوا الجبابرة، وأبادوا المفسدين، وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر، وعمروا الأرض شرقها وغربها، وعندكم مما أنا باثٌّ لكم شارح عليكم من أخبارهم ومآثرهم ومفاخرهم مما تجتزئون به عما بعده. ثم أنشأ يقول: " من المتقارب "

شهدتُ الملوكَ وعاشرتهمْ وكنتُ وزيرًا لَهُم وابن عمْ
فحازُوا البلادَ ومن حلّها منَ النَّاسِ من عربٍ أو عجمْ
وقد أخذُوا الخَرجَ في شرقها وفي غربها من جميعِ الأممْ
ودانتْ لهَم سُوقةَ العالمِين وأهلُ العُلا والملوكَ القِدمْ
بنيَّ وإخوتي الأقربين ومن بينكَمْ لِيَ من ذي رحمْ

علـــــــــــــــــيكم ... مـن المجدِ مـا اسـطعتُمُ والكـرمْ
فـــإنَّ النَّـــوالَ يُعـــزُّ الرِّجـــالَ وينـــزِلُهُم في الـــذُّرى والقِمَـــمْ
بـــهِ فَـضِّلَ الأجـودونَ الكـرامْ علـى كـلِّ مـن حملتـهُ القـدمْ
بـــهِ كمـــلَ المالـــكُ المـــالكينَ مـــن أبنـــاءِ قحطـــانَ قـــدمًا وتمْ
وصـــاتي هـــا ، فبهـــا فـــاعملُوا وصـــونُوا بهـــا المَلَـــكَ بعـــدَ الـــنعمْ
وإنَّ يزيـــدًا لكـــمْ ذا الكـــلاعِ لفـــي النُّـــصحِ والـــوُدِ لا يُـــتَّهمْ
ومهمـــا قـــضى ربُّكَـــم كـــائنٌ مـــن الأمـــرِ فيـــهِ وجـــفَّ القَلَـــمْ

وصية أعمى من الأزد لشاب يقوده:

عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه قال رأيت ببيشة رجلا من أزد السراة أعمى يقوده شاب جميل وهو يقول له يا سمى لا يغرنك أن فسح الشباب خطوك وخلى سربك وأرفه وردك فكأنك بالكبر قد أرب ظوفك وأثقل أوقك وأوهن طوقك وأتعب سوقك فهدجت بعد الهملجة ودججت بعد الدعلجة فخذ من أيام الترفيه لأيام الانزعاج ومن ساعات المهملة لساعة الإعجال يابن أخي إن اغترارك بالشباب كالتذاذك بسمادير الأحلام ثم تنقشع فلا تتمسك منها إلا بالحسرة عليها ثم تعرى راحلة الصبا وتشرب سلوة عن الهوي واعلم أن أغني الناس يوم الفقر من قدم ذخيرة وأشدهم اغتباطا يوم الحسرة من أحسن سريرة.

وصية رجل لآخر وقد أراد سفرا:

عن عبد الرحمن عن عمه قال سمعت رجلا يوصي آخر وأراد سفرا فقال: آثر بعملك معادك ولا تدع لشهوتك رشادك وليكن عقلك وزيرك الذى يدعوك إلى الهدى ويعصمك من الردى الجم هواك عن الفواحش وأطلقه في المكارم فإنك تبر بذلك سلفك وتشيد شرفك.

وصية رجل لابنه وقد أراد التزوج:

وقال بعضهم لولده وقد أراد التزوج: يا بني لا تتخذها حنانة ولا أنانة ولا منانة ولا عشبة الدار ولا كبة القفا.

وصية بعض العلماء لابنه:

وأوصى بعض العلماء ابنه فقال: أوصيك بتقوى الله وليسعك بيتك واملك عليك لسانك وابك على خطيئتك.

وصية لبعض الحكماء:

وقال بعض الحكماء: لا يكونن منكم المحدث ولا ينصت له والداخل في سر اثنين لم يدخلاه ولا آتى الدعوة لم يدع إليها ولا الجالس المجلس لا يستحقه ولا الطالب الفضل من أيدى اللئام ولا المتعرض للخير من عند عدوه ولا المتحمق في الدالة.

وصية أخرى:

وقال بعض الحكماء: إياك والعجلة فإن العرب كانت تكنيها أم الندامة لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ويجيب قبل أن يفهم ويعزم قبل أن يفكر ويقطع قبل أن يقدر ويحمد قبل أن يجرب ويذم قبل أن يخبر ولن يصحب هذه الصفة أحد إلا صحب الندامة واعتزل السلامة.

وصية أخرى:

وقال ابن دريد أوصى بعض الحكماء رجلا فقال: أمرك بمجاهدة هواك فإنه يقال إن الهوى مفتاح السيئات وخصيم الحسنات وكل أهوائك لك عدو وأهواها هوى يكتمك في نفسه وأعداها هوى يمثل لك الإثم في صورة التقوى ولن تفصل بين هذه الخصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يشوبه وهن وصدق لا يطمع فيه تكذيب ومضاء لا يقاربه التثبط وصبر لا يغتاله جزع ونية لا يتقسمها التضييع.

لقي رجل حكيمًا فقال: كيف تَرَى الدهر؟ قال: يُخْلِقُ الأبدان، ويجدِّدُ الآمال، ويقرِّبُ المنيّة، ويباعِدُ الأمْنِيّة. قال: فما حالُ أهله؟ قال: من ظفر به منهم تعب، ومن فاته نَصِب. قال: فما الغنى عنه؟ قال: قَطعُ الرجاء منه، قال: فأيّ الأصحاب أبرّ وأَوْفى؟ قال: العمل الصالح والتقوى. قال: أيهم أضرّ وأَرْدَى؟ قال: النفس والهوى، قال فأين المخرج؟ قال: سلوكُ المَنهَج. قال: وما هو؟ قال: بَذْل المجهود، وترك الراحة، ومداومة الفكرة. قال: أَوْصني. قال: قد فعلت.

وقال بعض الملوك لحكيم من حكمائه: عِظْني بعِظَة تنفي عني الْخُيَلاء، وتزهّدني في الدنيا. قال: فكر في خَلْقك، واذْكُر مبدأك ومصيرك، فإذا فعلت ذلك صَغُرَتْ عندك نفسُك، وعَظُم بصغرها عندك عَقْلُك؛ فإن العقلَ أنفعهُما لك

عِظَمًا، والنفس أَزْينهُما لك صِغَرًا؛ قال الملك: فإن كان شيء يُعِينُ على الأخلاق المحمودة فصفتك هذه. قال: صفتي دليل، وفَهْمُك محجَّة، والعلم عليّة، والعمل مَطيّة، والإخلاص زمامها، فخُذْ لعقلك بما يزيّنه من العلم، وللعلم بما يَصُونُه من العمل، وللعمل بما يحقّقه من الإخلاص، وأنت أنت! قال: صدقت.

مَرّ بِشرْ بن المُعتمر بإبراهيم بن جبلة بن مَخْرمة السَّكوني الخَطيب، وهو يعَلِّم فِتْيانهم الخَطابة، فوقف بِشرٌ يستمع، فظنّ إبراهيم أنه إنما وَقف ليَسْتفيد، أو يكون رجلاً من النظّارة. فقال بشر: اضربوا عمّا قال صفْحًا، واطووا عنه كَشْحًا، ثم دفع إليهم صَحيفة من تَنْميقه وتَحْبيره، فيها: خُذْ من نفسك ساعة نشاطك وفراغ بالك وإجابتها إياك، فإنّ قليل تلك الساعة أكرمُ جوهرًا، وأشرفُ حَسبًا، وأحسن في الأسماع، وأَحْلى في الصُّدور، وأسلم من فاحش الخَطأ، وأجلبُ لكُلّ عين وغُرّة، من لفظ شريف، ومَعنى بديع، واعلم أنّ ذلك أَجدى عليك مما يُعطِيك يومُك الأطْول بالكدّ والمُطاولة، والمُجاهدة بالتّكليف والمُعاودة، ومهما أَخطأك لم يُخطئك أن يكون مقبولاً قصدًا، وخَفيفًا على اللسان سَهْلاً، كما خَرج من يَنبوعه، ونَجم من مَعدنه؛ وإياك والتوعّرَ، فإن التوعّر يُسلمك إلى التَّعقيد، والتّعقيد هو الذي يَسْتهلك مَعانيك، ويَشين ألفاظَك. ومَن أراد معنًى كريمًا فَلْيَلْتمس له لفظًا كريمًا، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف؛ ومن حقهما أن تَصونهما عما يُفسدهما ويهجِّنهما، وعما تعود من أجله إلى أن تكون أسوأ حالاً منك قبل أن تَلتمس إظهارهما، وتَرتهن نفسك بمُلابستهما وقضاء حقهما.

وكن في ثلاث منازل: وإن أَوْلَى الثلاث أن يكون لفظك رشيقًا عَذْبًا، وفخمًا سهلاً، ويكون معناك ظاهرًا مكشوفًا، وقريبًا معروفًا، إمّا عند الخاصة، إن كنت للخاصة قصدت، وإمّا عند العامة، إن كنت للعامة أردت، والمعنى ليس يشرف بأن يكون من مَعاني الخاصة، وكذلك ليس يتضع بأن يكون من مَعاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المَنفعة مع مُوافقة الحال، وما يَجب لكل مَقام من المقال، وكذلك اللفظ العاميّ والخاصيّ، فإن أمكنك أن تبلغ من بيان لسانك، وبلاغة قلمك، ولُطف مَداخلك، واقتدارك على نفسك، على أن تُفْهم العامة معاني الخاصة، وتَكسوها الألفاظ المتوسطة التي لا تَلطف عن الدهماء، ولا تَجفو عن الأكفاء، فأنت البليغُ التام. فقال له إبراهيم بن جبلة: جُعلت فداك، أنا أحوجُ إلى تعلّمي هذا الكلام من هؤلاء الغِلْمة.

لما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا: يا أبا مليكة أوص، قال: ويل للشعر من رواة السوء. قالوا: أوص يرحمك الله يا حطيء. قال: من الذي يقول: من الطويل

إذا أنبض الرامون عنها ترنمت ترنم ثكلى أوجعتها الجنائز

قالوا: الشماخ. قال: أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب. قالوا: ويحك أهذه وصية؟! أوص بما ينفعك. قال: ابلغوا أهل ضابئ أنه شاعر حيث يقول: من الطويل

لكل جديد لذة غير أنني وجدت جديد الموت غير لذيذ

قالوا: اتق الله ودع عنك هذا. أوص بما ينفعك. قال: أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول: من الطويل

فيا لك من ليل كأن نجومه بكل مغار الفتل شدت بيذبل

قالوا اتق الله ودع عنك هذا. قال: أبلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث يقول: من الكامل

يغشون حتى ما تهر كلابهم لا يسألون عن السواد المقبل

قالوا: إن هذا لا يغني عنك من الله شيئًا فقل غير ما أنت فيه، فقال: من الرجز

الشعر صعب وطويل سلمه إذا ارتقى فيه الذي لا يعلمه

زلت به إلى الحضيض قدمه يريد أن يعربه فيعجمه

قالوا: هذا مثل الذي كنت فيه. فقال: من الرجز

قد كنت أحيانًا شديد المعتمد وكنت ذا خصم على الناس ألد

فوردت نفسي وما كادت ترد

قالوا: يا أبا مليكة، أحاجة؟ قال: لا والله، ولكن أجزع للمديح الجيد يمدح به من ليس له أهلاً. قالوا: فمن أشعر الناس؟ فأومى بيده إلى فيه وقال: هذا الجحير إذا طمع في خير. واستعبر باكيًا فقالوا له: قل لا إله إلا الله، فقال: من الرجز

قالت وفيها حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر

فقيل له: ما تقول في عبيدك وإمائك؟ قال: هم عبيد قن ما عاقب الليل النهار. قالوا: فأوص للفقراء بشيء. قال: أوصيهم بالإلحاح في المسألة فإنها تجارة لا تبور، واست المسؤول أضيق. قالوا: فما تقول في مالك؟ قال: للأنثى من ولدي مثل حظ الذكرين. قالوا: ليس هكذا قضى الله، قال: لكني هكذا قضيت. قالوا: فما توصي لليتامى؟ قال: كلوا أموالهم ونيكوا أمهاتهم. قالوا: فهل شيء تعهد به غير هذا؟ قال: نعم، تحملوني على أتان وتتركوني راكبها حتى أموت، فإن الكريم لا يموت على فراشه، والأتان مركب لم يمت عليه كريم قط. فجعلوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول: من الرجز

لا أحد الأم من حطية هجا بنيه وهجا المريه

خطب الحجاج لما أراد الحج فقال: أيها الناس، إني أريد الحج، وقد استخلفت عليكم ابني هذا، وأوصيته بخلاف وصية النبي ﷺ في الأنصار، فإنه أمر أن يقبل من محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم. ألا وإني قد أوصيته أن لا يقبل من محسنكم ولا يتجاوز عن مسيئكم ألا وإنكم ستقولون بعدي: لا أحسن الله له الصحابة، ألا وإني معجل لكم الجواب: لا أحسن الله عليكم الخلافة.

كتب أبو العيناء إلى صديق له تولى ناحية: أما بعد فأني لا أعظك موعظة الله تعالى لأنك غني عنها ولأنك أعلم مني بها، ولا أرغبك في الاخرة لمعرفتي بزهدك فيها، ولكني أقول كما قال الشاعر وهي أبيات لأبي الأسود الدؤلي يقولها لحارثة بن بدر لما ولي رامهرمز: من الطويل

أحار بن بدر قد وليت ولاية فكن جردًا فيها تخون وتسرق

وكاثر تميمًا بالغنى إن في الغنى لسانًا به المرء الهيوبة ينطق

واعلم أن الخيانة فطنة، والأمانة خرق، والجمع كيس، والمنع صرامة، وليست كل يوم ولاية. فاذكر أيام العطلة، ولا تحقرن صغيرًا، فمن الذود إلى الذود إبل، والولاية رقدة فتنبه قبل أن تنبه: من الرمل المجزوء

وأخو السلطان أعمى عن قليل سوف يبصر

وما هذه الوصية التي أوصى بها يعقوب بنيه، ولكني رأيت الحزم أخذ العاجل وترك الآجل.

احتضر بعض المجان فقالت له زوجته: أوص، قال: وتقبلين مني؟ قالت: نعم. قال: إذا أنا مت فادفني معي زنبيل الدقيق ودبة البزر حتى تلحقهما ضغطة القبر فانهما أكلا كبدي في الدنيا.

بلغ أبا الأغر أن أصحابه بالبادية قد وقعبينهم شر، فأرسل ابنه الأغر وقال: يا بني، كن يدًا لأصحابك على من قاتلهم، وإياك والسيف فإنه ظل الموت، واتق الرمح فإنه رشاء المنية، ولا تقرب السهام فإنها رسل لا تؤامر مرسلها. قال: فبماذا أقاتل؟ قال: بما قال الشاعر: من الطويل.

جلاميد أملاء الأكف كأنها رؤوس رجال حلقت في المواسم

أوصت أعرابية ابنتها عند إهدائها فقالت: اقعلي زج رمحه، فإن أقر فاقلعي سنانه، فإن أقر فاكسري العظام بسيفه، فغ، أقر فاقطعي اللحم على ترسه، فإن أقر فضعي الإكاف على ظهره فإنه حمار.

ومما ينسب إلى تميم بن مر أنه وصى بنيه فقال: يا بني عليكم بلا فإنها ترفع اللحيين، وإياكم ونعم فإنها ترخي اللحيين، وعليكم بالمسألة فإن است المسؤول أضيق، ولا تحقروا اليسير أن تأخذوه فإن اليسير إلى اليسير كثير، واستعيروا ولا تعيروا، وأظهروا للناس الحاجة لكي لا تسألوا فتمنعوا فتكون أستاهكم في الضيقة. وإن وعدتم الناس شيئًا فاكذبوهم وامطلوهم، فإن الذي يصدق في الوعد وأن مطل، وهو مقل، يكون حريًا بالنجح في الموعد إذا أمكنته المقدرة. وابدأوا الناس بالشر يردد عنكم الشر، وإياكم والوهن فيجترأ عليكم. ولا تشتطوا في مهور النساء فإن ذلك آكد لأياماكم، جمع الله أمركم.

أوصى وكيع بن حسان بن سود فقال: يا بني، إن أبي والله ما ورثني إلا درعًا سحقًا ورمحًا خطلاً، وما ورثني دينارًا ولا درهما. وقد جمعت لكم هذا المال الذي ترون من حله وحرامه؛ فإياكم إذا أنا مت أن تأتيكم هذه الباعة من أهل لأسواق فيقولون: لنا على أبيكم دين. يا بني، إن كان الله تعالى يريد أن يغفر لي فوالله ما ديني في ذنوبي إلا كشعره بيضاء في ثور أسود، وإن كان لا يريد أن يغفر لي، فوالله ما ديني في ذنوبي إلا كشعرة بيضاء في ثور أسود، وإن كان لا يريد أن يغفر لي، فوالله ما ديني في تلك الذنوب إلا كحصاة رمي بها في بحر. شدوا أيديكم على مالكم واحفظوه ولا تقضوا عني شيئًا. ثم مات.

وروي أن أبا النجم العجلي أنشد هشامًا:

والشمس قد صارت كعين الأحول

لما ذهب به الروي عن الفكر في عين هشام فأغضبه فأمر به فطرد، فأمل أبو النجم رجعته، فكان يأوي إلى المسجد. فأرق هشام ذات ليلة فقال لحاجبه: لبغني رجلاً عربيًا فصيحًا يحادثني وينشدني، فطلب له ما طلب فوقف على أبي النجم فأتى به، فلما دخل عليه قال: أين تكون منذ أقصيناك؟ قال: بحيث ألفتني رسلك. قال: فمن كان أبا مثواك؟ قال: رجلين: كلبيًا وتغلبيًا أتغدى عند أحدهما وأتعشى عند الآخر. فقال له: ما لك من الولد؟ قال: ابنتان. فقال: أزوجتهما؟ قال: لا، زوجت إحداهما. قال: فبم أوصيتها. قال: قلت لها ليلة أهديتها: من الرجز

سبي الحماة وابهتيعليها وإن نأت فازدلفي إليها
ثم اقرعي بالود مرفقيها وركبتيها واقرعي كعبيها
وجددي الحلف بهعليها لا تخبري الدهر بذاك ابنيها

قال: أفأوصيتها بغير هذا؟ نعم، قلت: من الرجز

وصيت من برة قلبًا حرا بالكلب خيرًا والحماة شرا
لا تسأمي نهكًا لها وضرا والحي عميهم بشر طرا
وإن كسوك ذهبًا ودرا حتى يروا حلو الحياة مرا

قال هشام: ما هكذا أوصى يعقوب ولده. قال أبو النجم: ولا أنا كيعقوب، ولا بني كولده. قال: فما حال الأخرى؟ قال قد درجت بين بيوت الحي ونفعتنا في الرسالة والحاجة. قال: فما قلت فيها؟ قال: قلت من الرجز

كأن ظلامة أخت شيبان يتيمة والداها حيان
الرأس قمل كله وصئبان وليس في الرجلين إلا خيطان

فهي التي بذعر منها الشيطان

قال: فقال هشام: يا غلام ما فعلت الدنانير المختومة التي أمرتك بقبضها؟ قال: هي عندي، وزنها خمسمائة. قال: فادفعها إلى أبي النجم ليجعلها في رجل ظلامة مكان الخيطين. وزيد في رواية أخرى: من الرجز

أوصيك يا بنتي فإني ذاهب أوصيك أن يحمدك الأقارب

والجار والضيف الكريم الساغب لا يرجع المسكين وهو خائب
ولا تني أظفارك السلاهب لهنفي وجه الحماة كاتب

والزوج إن الزوج بئس الصاحب

قال لبطة بن الفرزدق: لما احتضر أبي قال: ابغني كتابًا أكتب فهي وصيتي، فأتيته فكتب وصيته: من الوافر

أروني من يقوم لكم مقامي إذا ما الأمر جل عن الخطاب
إلى من ترجعون إذا حثوتم بأيديكم علي من التراب

فقالت مولاة قد كان أوصى لها بوصية: إلى الله ﷻ. فقال: يا لبطة، امحها من الوصية.

أوصى بدوي ابنه فقال: يا بني، كن سبعًا خالسًا، أو ذئبًا خانسًا، أو كلبًا حارسًا، ولا تكن إنسانًا ناقصًا.

كتب علي بن نصر الكاتب عل بعض الطفيليين عهدًا يوصي فيه بالنهم والأكل: هذا كتاب من فلان في صحة من فهمه، وسقم من جسمه، وضعف من عزمه، وأسف على هضمه، واستكلاب من شهوته، وانتكاس من علته، عند آخر ساعة من ساعات دنياه، وأول وقت من أوقات أخراه، ومن النصحية والصدق، والفيئة من الباطل إلى الحق إلى جماعة الأكلة المتصوفين، وذوي النهم المتطفلين، وأولي الطواحين الدائرة، والشهوات الثائرة، والأشداق الفسيحة، والمبالع الصحيحة: سلام عليكم، فإني أحمد الله إليكم الذي لا غله إلا هو، خالق الأنياب الحداد، والأضراس الشداد، والله الواسعة، والحلاقم البالعة، وأسأله الصلاة على رسوله المبعوث بالإسلام، والآمر بإفشاء السلام، وصلات الأرحام، وبذل الطعام، صلى الله عليه وعلى آله وشرف وكرم.

أما بعد: فإني رأيت أهل هذه الصناعة قد قلوا، ومحصوا حتى ذلوا، فلم يبق لهم ذكر إلا خمل، ولا نجم إلا أفل، ولا علم إلا فقد، ولا نهم إلا أتخم واستشهد، فصار لا يوجد منهم في البلد العظيم، والإقليم بعد الإقليم، أحد مقيم بحقوقها، ومستقل بأعباء علومها، ويعرف ما يعترضها من العلل، ويخبر ما فيها من المكر والحيل، وكيف التوصل إلى الولائم المشهودة، والهجوم على الموائد المنصوبة. وإنما قصار الواحد منهم أن يأنس ببعض كرماء دهرنا بواسطة

الاتفاق، وحسبك ضيق المذاق والأخلاق، فيحضر طبقه إما مستأذنًا في الوصول، أو متسببًا في الحصول.

فإذا جلس شمر عن ساعده تنظفًا، ورفع أذيال ثوبه تظرفا، وأظهر أن الطعام بأنملته، لا يلتصق بحافة من حافات شفته، مقتصرًا من آلة حرفته وأداة صناعته على تجريد اللحم، وتجويد اللقم، حتى إذا أكل المختار الطيب، وتناول المقدار المستقرب، زعم الانتهاء، وادعى الشبع والاكتفاء، وجعل ما يستمده من بعد على وجه التملح والتعجيب، وطريق التنادر والتقريب. وعساه لا يبلغ في الاستزادة والاكثار، فأقصى مدى تلك السادة الأبرار.

وهذا أيدكم الله الذي أبطل صناعتكم وعفى آثارها، وأفسد نظامها وأطفأ أنوارها. فصار الناشئ فيها غير عارف بقوانينها، ولا واجد بصيرًا بأفانينها، فهو يخبط العشواء منقبضًا تارة ومنبسطًا، ويخلط ما جاء صوابًا مرة وغلطا، لا يعرف فضل المستكره على المختار، ولا ميزة الهاجم على المستزار، ولا يعلم أن المغافضة والمغالبة، والمجاحشة والمواثبة، مذاهب الأشياخ القدماء، وعادات أهل الصنعة الألباء، إلى غير ذلك من شرائط هذا العمل الجليل، وسنن كل وقاح أكيل.

ونحن ننطق في كتابنا هذا إليكم بلسان الشره المليم، ونستمد لكم التوفيق من شيطان المعدة الرجيم. فأول ما أفهمكم إياه، وأنفعكم معناه، معاشر الإخوان، ورفقاء المائدة والخوان، أن تعلموا أن من صفق وجهه رق عيشه، ومن سعت قدمه طاب مطعمه، ومن أساء أدبه بلغ أربه، ومن قل حياؤه ساعدته أهواؤه. وهذه وصية نبذت إليكم حكمها، وفرضت عليكم تعلمها.

وأن تديموا دخول الحمام، في صبيحة كل يوم من الأيام، فتمزخوا المعدة، وتطلبوا التقلب والتمدد، ففي ذلك راحة من كد السهر، وحدر لبقايا الطعام المعتكر. وتعقبوه بتناول الجوارشنات، والسفوفات الفاتقة للشهوات، ثم تطرحوا أفكاركم يمنة ويسرة، وعيونكم خفية وجهرة، فتوكدوا الوصاة سفينة ولا موضعًا موسومًا بكراء الحمير، ولا صقعًا معروفًا بالخانات والمواخير، إلا اخترقتموه مساء وصباحًا، وطرحتموه غدوة ورواحًا. وتتبعوا ولائم الإعذار، ودور الوارث والقمار، وحمالي الفرض، وشواني الربض، وحلق المخرقين، ومقامات

المثاقفين، ومظان مناطح الكباش، ومواطن التنازق والهراش، وتسترشدوا قوام المشاهد، وصالحي المساجد، وعجائز العكاكيز، وروائح الدهاليز.

ولا يجوز أن يخفى عليكم حينئذ خافية، ولاتستر دونكم عورة دانية ولا قاصية، فإذا عادوا بالنبأ الواضح، وفازوا بالخبر الصالح، استخرتم الله عز وجل مفكرين في بعد الطريق أو قربها، فإنها إن دنت أدنت البغية، وإن نأت هيجت الشهوة، وأن لا تخففوا الأكل مما حضر، طمعا في ما يأتي ينتظر، وإن كنتم له محققين، ومن ووده على يقين، فللطعام اغتنامات، وللتأخير آفات، وربما أفسد الطباخ ما تراعون، وطرقت صاحب المنزل نائبة في عرض ما تأكلون، وأخطأتم في الحساب، وحصلتم على تجويع الارتقاب. وهذا سفة في العقل، وركوب غرر في فوت الأكل.

وأن تتخيروا من المواضع أفسحها، ومن المجالس أفيحها، لتكون معدكم مطمئنة هادية، وأيديكم ذاهبة جائية، فلا يتعذر عليكم، تناول ما قرب من الأطعمة إليكم. وإن كان لأحدكم قريب، وولد أو نسيب، قرب منه أو بعد، فلا يتنغص له، ويتمنى أن يشاركه في ما أكله، فإن ذلك مشغلة عن الاستكثار، ومقطعة عن الاحتكار، ودلالة على وهي العزم وضعفه، وإظهار لقلة الرأي وسخفه، بل يستجد لذاكره أكلة مفردة، ويستأنف من جراه شهوة مجددة، فإن ذلك أدخل في باب التطفيل، وأولى بذوي الرأي الأصيل.

وأن تجعلوا السكباج مفتاح الفم، وتعظموها تعظيم الأب والأم، فإنها القدر المحبوبة، والشهوة المطلوبة، والعلق الصبور، واللون الذي لا يبور. وأن تبالغوا في الإمعان، عند حضور لفرصة والإمكان، في أفخاذ الفراريج ولصقيها، وصدور الدراريج بعد تعليقها، فإنها المنظر الأنيق لذي عين، واللذة القصوى لصاحب ماضغين. وأن تعتمدوا أكل الهرائس، عاريات من الملابس، خاليات من الجزمازج والجرادق، منقولات بالأصابع والملاعق، فإن فيها معنى الخبز، من لباب البر والأرز، ولا فائدة في هذا التكرار، العائد بالتملي والاستضرار.

واستوصوا بالصاعديات خيرًا، وغلائها المصبوغة حمرا، فأكبوا على فروجها وعصفورها، واستكثروا من كبابها ومضفورها، وواظبوا على قرنائها وأخواتها، وبنات عمها وعماتها، من الاسفيذباجات والنرجسيات والمحرقات. فكلوا أكل الأيامى فقدوا الصاحب، واليتامى عدموا الكسب، وواصلوا

المضايق إذا بدت إلية الحمل، واستدارت هامة البصل، فإنها طعام السلف الماضين، وأهل السنة المتزهدين، وبها باع الناس قديمًا صلاتهم وصيامهم، ولها فارقوا خليفتهم وإمامهم، ومن أجلها دفعوا عن المحال وذبوا، وأجابوا داعي الضلال ولبوا.

وكونوا لذوات المرق إخوانًا، فإن لها أنواعًا من الطعوم وألوانًا، وفضلاً على غيرها ورجحانًا، فثردها قوام الظرف وكماله، وسنان العرف وجماله، وهي عزاء الصدور، ودواء المخمور. ولا تهملوا الحرص على لحمها المجزع، من البشمازج والأضلع. ولفوا لقلاياها لفا، واستفوا لحمها سفا، استراحة من ناشفها إلى ممرقها، ومراوحة من محمصها إلى محرقها، فإنها قراضة الإبريز، وطراز المأكل الوجيز.

ولا تحقروا الانتفاع بالأصباغ فنعم ظهير الأكل ومعينه، ونصيح المستكثر وأمينه. وبادروا الحلواء ساعة طلوعها في جاماتها، كالبدور في هالاتها، غير محفلين بما يقطر من أدهانها على العنافق، ويجري من مرقها على المرافق. فكل ذلك هين في جنب الظفر بمنية النفس، وبلغ شهوة الضرس، ولا تستكثروا من الأنبذة فإنها تضعف الشهوة، ولذلك سميت الخمرة قهوة، ومن أصغر تأثيرها التملي المانع، والخمار القاطع. وعليكم منها بما يعين المعدة على غذائها، ويكون سببًا لسرعة نقائها. ولا تصغوا إلى عاذل مقبح، ولائم متنصح، فما ذاك إلا حسد على ما أنالكم الله من فضله: القدرة على كشف أغراضكم، ولا تستقلوا في نيل إرادتكم بكل كلح الحجاب، أو ردة البواب، ولا تستبعدوا فتح الباب وإن أبهمت أعلاقه، وتسلق بنيان وإن أحكم وثاقة، فطال ما خاصمت وخوصمت، وزاحمت وزوحمت، وصادمت وصودمت، ولا كمت ولو كمت، فما ترى بي أثرًا، إلا أنبأتك عنه خبرًا، حتى صلع رأسي فما ينبت شعرة، وعمشت عيني فما تدرك نظرة، وكسر فكي فما آكل إلا استراطًا، واسترخى جانبي فما أتمالك ضراطًا، وكل هذا قد يستهسل، في بلوغ لذة المأكل. وبه أوصيكم جماعة الأوداء والأخوان، وبحفظ ما رويته لكم عن المشاهدة والعيان، والله خليفتي على فكوككم القوية، ومعدكم النارية.

وكتب يوم عيد النحر ساعة توزيع لحم الأضحيات، ووقت إدراك الهرائس والوديات، وهو حسبي ونعم الوكيل.

أوصى العباس بن محمد معلم ولده فقال: قد كفيتك أعراقهم فاكفني آدابهم. لا أوتين فيهم منك فإنك لم تؤت فيهم مني: أغذهم بالحكمة فإنها ربيع القلوب، وعلمهم النسب والخبر فإنه علم الملوك، وأيدهم بكتاب الله تعالى فإنه قد خصهم ذكره، وعمهم رشده. وكفى بالمرء جهلاً أن يجهل فضلاً عنه أخذ. وخذهم بالإعراب فإنه مدرجة البيان، وفقههم في الحلال والحرام فإنه حارس من أن يظلموا ومانع من أن يظلموا.

وقال يختيشوع للمأمون: أوصيك يا أمير المؤمنين بأربعة أشياء: لا تأكل طعامًا بين نبيذين، ولا تجامع على شبع، ولا تبت أو تخلي جوفك من الرياح والنجو، ولا تأكل لحم البقر، فوالله إني أمر به في الطريق فأغطي عيني وعين برذون من شدة مضرته.